الصباح الإسلامية
09
العدد 1886 - السنة السابعة
الجمعة 15 شعبان 1436 - الموافق 13 يونيو 2014
Friday 13 June 2014 - No.1886 - 7th Year

الرد على حجج الرافضين للمنهج العلمي في التفسير (1)

القوانين العلمية تعبيرات بشرية عن السنن الإلهية في الكون وجزء من الحكمة التي هي ضالة المؤمن

فهم الناس للإشارات العلمية على ضوء ما يتجمع من معارف يزداد اتساعاً وهذا في حد ذاته شهادة للقرآن بأنه لا تنتهي عجائبه

لا تعارض بين كون القرآن كتاب هداية ربانية واحتوائه على إشارات علمية دقيقة وردت في مقام الاستدلال على عظمة الخالق

من الواضح أن حجج المعارضين للمنهج العلمي في تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله، والتي أوردناها في الفقرات السابقة هي كلها حجج مردودة حجة بحجة كما يلي:

1 - انه لا حاجة بنا اليوم إلى الإسرائيليات في تفسير الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله، لأن الرصيد العلمي في مختلف المعارف قد بلغ اليوم شاوا لم يبلغه من قبل، وإذا كان من استخدم الإسرائيليات في تفسيره من الأوائل قد أخطأ التفسير فإن من يستخدم حقائق العلم الثابتة، ومشاهداته المتكررة في شرح تلك الآيات اليوم لابد أن يصل إلى فهم لها لم يكن من السهل الوصول إليه من قبل، وأن يجد في ذلك من السبق العلمي للقرآن الكريم، ومن صور الإعجاز فيه ما لم يجده السابقون، تأكيدا لوصف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للقرآن بأنه: «لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد».

2 - انه لا تعارض البتة بين كون القرآن الكريم كتاب هداية ربانية، وإرشادات إلهية، ودستور عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، وكتاب تشريع سماوي يشمل نظاما كاملا للحياة، وبين احتوائه على عدد من الإشارات العلمية الدقيقة التي وردت في مقام الاستدلال على عظمة الخالق وقدرته في إبداعه للخلق، وقدرته على إفناء ما قد خلق، وإعادة كل ذلك من جديد، وفي الاستدلال أيضا على وحدانية الخالق المطلقة فوق جميع خلقه لأنه - سبحانه وتعالى - خلق كل شيء في الوجود (من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان) في زوجية واضحة حتى يبقى وحده متفردا بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. وذلك لأن هذه الإشارات في القرآن الكريم تبقى بيانا من الله - خالق الكون ومبدع الوجود - فلابد أن تكون حقا مطلقا، لأنه ليس هناك من هو أدرى بالخليقة من الخالق -سبحانه وتعالى-.

ولو أن المسلمين وعوا هذه الحقيقة منذ القدم لكان لهم في مجال الدراسات الكونية سبق ملحوظ وثبات غير ملحوق، فنحن ندرك اليوم - وفي ضوء ما تجمع لنا من معارف في مجال دراسات العلوم البحتة والتطبيقية - أن الإشارات الكونية في كتاب الله تتسم بالدقة المتناهية في التعبير، وبالشمول في المعنى، والاطراد والثبات في الدلالة، وبالسبق لكثير من الكشوف العلمية بالمئات من السنين، وفي ذلك شهادة قاطعة لا يستطيع أن ينكرها جاحد أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية بل هو كلام الله الخالق.

أما القول بأن تلك الإشارات قد تم سردها بصورة مجملة فإنها بحق إحدى صور الإعجاز العلمي والبياني في القرآن الكريم، وذلك لأن كل إشارة علمية وردت فيه قد صيغت صياغة فيها من إعجاز الإيجاز والدقة في التعبير والإحكام في الدلالة، والشمول في المعنى ما يمكن الناس - على اختلاف ثقافاتهم وتباين مستويات إدراكهم وتتابع أجيالهم وإزمانهم - أن يدركوا لها من المعاني ما يتناسب وهذه الخلفيات كلها، بحيث تبقى المعاني المستخلصة من الآية الواحدة يكمل بعضها بعضا في تناسق عجيب، وتكامل أعجب؛ لأنه تكامل لا يعرف التضاد وهذا عندي من أروع صور الإعجاز في كتاب الله، فالإجمال في تلك الإشارات مع وضوح الحقيقة العلمية للأجيال المتلاحقة، كل على قدر حظه من المعرفة بالكون وعلومه هو بالقطع أمر فوق طاقة البشر وصورة من صور الإعجاز لم تتحقق ولا يمكن أن تتحقق لغير كلام الله الخالق.

ومن هنا كان فهم الناس للإشارات العلمية الواردة بالقرآن الكريم على ضوء ما يتجمع لديهم من معارف، فهما يزداد اتساعا وعمقا جيلا بعد جيل، وهذا في حد ذاته شهادة للقرآن الكريم بأنه لا تنتهي عجائبه ولا يبلى على كثرة الرد، كما وصفه المصطفى -صلى الله عليه وسلم-. وقد أدرك نفر من السابقين ذلك وفي مقدمتهم الإمام الزركشي الذي كتب في كتابه «البرهان في علوم القرآن» ما نصه: «وما من برهان ودلالة وتقسيم، وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين: الأول: بسبب ما قاله -سبحانه وتعالى-: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ» (إبراهيم: 4). والثاني: ان المائل إلى دقيق الحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم يتخط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون وكذلك أخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه من أجل صورة تشتمل على ادق دقيق للفهم العامة من جليلها ما يقنعهم الحجة، وتفهم الخواص من أنبائها ما يوفي على ماأدركه الخطباء...». ثم يضيف: «ومن ثم كان على كل من أصاب حظا في العلم أوفر أن يكون نصيبه من علم القرآن أكثر؛ لأن عقله حينئذ يكون قد استنار بأضواء العلم، وهؤلاء الذين اهتم القرآن بمناداتهم كلما ذكر حجة على الربوبية والوحدانية، أو أضاف إليهم أولو الألباب والسامعون والمفكرون والمتذكرون تنبيها إلى أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها».

من هنا كان واجب المتخصصين من المسلمين في كل عصر وفي كل جيل أن ينفر منهم من يستطيع أن يجمع إلى حقل تخصصه إلماما بحد أدنى من علوم اللغة العربية وآدابها، ومن الحديث وعلومه، والفقه وأصوله، وعلم الكلام وقواعده، وإحاطة بأسباب النزول، وبالمأثور في التفسير، وباجتهاد السابقين من أئمة المفسرين، ثم يعود هؤلاء إلى دراسة الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله - كل فيما يخصه - محاولين فهمها في ضوء معطيات العلم وكشوفه، وقواعد المنطق وأصوله حتى يدركوا ما يستطيعون من فهم لكتاب الله فتتحقق نبوءة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- في وصفه لهذا الكتاب العزيز بأنه: «لا تنقضي عجائبه».

3 - ان القول بعدم جواز تفسير الثابت بالمتغير قول ساذج؛ لأن معناه الجمود على فهم واحد لكتاب الله ينأى بالناس عن واقعهم في كل عصر حتى لا يستسيغوه فيملوه ويهملوه. وثبات القرآن الكريم.. وهو من السمات البارزة له لا يمنع من فهم الإشارات الكونية الواردة فيه على أساس من معطيات العلوم الكونية، حتى ولو كان ذلك ينسع من عصر إلى آخر بطريقة مطردة، فالعلوم المكتسبة كلها لها طبيعة تراكمية، ولا يتوافر للإنسان منها في عصر من العصور إلا أقدار تتفاوت بتفاوت الأزمنة، وتباين العصور، نقدما واضمحلالا، وهذه الطبيعة التراكمية للمعرفة الإنسانية المكتسبة تجعل الأمم اللاحقة أكثر علما في مجال الكونيات - بصفة عامة - من الأمم السابقة، إلا إذا تعرضت الحضارة الإنسانية بأكملها للانتكاس والتدهور.

من هنا كانت معطيات العلوم الكونية - بصفة خاصة -، والمعارف المكتسبة كلها - بصفة عامة - دائمة التغير والتطور، بينما كلمات وحروف القرآن الكريم ثابتة لا تتغير، وهذا وحده من أعظم شواهد الإعجاز في كتاب الله.

وعلى الرغم من ثبات اللفظ القرآني، وتطور الفهم البشري لدلالاته - مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية جيلا بعد جيل - فإن تلك الدلالات بتكامل بعضها مع بعض في اتساق لا يعرف التضاد، ولا يتوافر ذلك لغير كلام الله تعالى، ويظل اللفظ القرآني ثابتا، وتتوسع دائرة فهم الناس له عصرا بعد عصر.. وفي ذلك شهادة للقرآن الكريم بأنه يفاير كلام البشر كافة، وأنه - بالقطع - بيان من الله تعالى.. ولذلك فإننا نجد القرآن الكريم يحض الناس حضا على تدبر آياته، والعكوف على فهم دلالاتها، ويتحدى أهل الكفر والشرك والإلحاد أن يجدوا فيه صورة واحدة من صور الاختلاف أو التناقض على توالي العصور عليه، وكثرة النظر فيه، وصدق الله العظيم إذ يقول: «أفلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا»؛ وإذ يكرر التساؤل التقريعي في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة: « فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ». ويؤكد ضرورة تدبر القرآن الكريم، وأنه - تعالى - قد جعله في متناول عقل الإنسان فيذكر ذلك أربع مرات في سورة القمر، حيث يصدع التنزيل بقول الحق -تبارك وتعالى-: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ».

والذكر هنا - كما يجمع المفسرون - يشمل التلاوة والتدبر معا، ويشير إلى استمرار تلك العملية مع توالي العصور وتجدد الأزمان، ومن هنا يبقى النص القرآني ثابتا، ويتجدد فهم الناس له كلما اتسعت دائرة معارفهم ونمت حصيلتهم العلمية، وذلك - بالقطع - فيما لم يرد في شرحه شيء من المأثور الموثق. وليس في ذلك مقابلة بين كلام الله وكلام الناس كما يدعي البعض، ولكنه المحاولة الجادة لفهم كلام الله، وهو - تعالى - الذي انزله للبشر؛ لكي يفهموه، ويتعظوا بدروسه، وفهم آيات القرآن الكريم - في الوقت نفسه بمعان تتسع مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية باستمرار. وفي تكامل لا يعرف التضاد - هو صورة من صور الإعجاز في كتاب الله، لا ينكرها إلا جاحد.

أما القول ان ما يسمى بحقائق العلم ليس إلا نظريات، يبطل منها اليوم ما كان سائدا بالأمس، وربما يبطل في الغد ما هو سائد اليوم فهو أيضا قول ساذج؛ لأن هناك فروقا واضحة بين الفروض والنظريات من جهة، الحقائق والقواعد والقوانين من جهة أخرى، وهي مراحل متتابعة في منهج العلوم التجريبية الذي يبدأ بالفروض ثم النظريات، وينتهي بالقواعد والقوانين والحقائق. والفروض هي تفسيرات أولية للظواهر الكونية، والنظريات هي صياغة عامة لتفسير كيفية حدوث تلك الظواهر ومسبباتها، أما الحقائق الكونية فهي ما يثبت ثبوتا قاطعا في علم الإنسان بالأدلة المنطقية المقبولة، وهي جزء من الحكمة التي نحن أولى الناس بها كما علمنا المصطفى -صلى الله عليه وسلم-. أما القواعد والقوانين العلمية فهي تعبيرات بشرية عن السنن الإلهية في الكون، تصف علاقات محددة تربط بين عناصر الظاهرة الواحدة، أو بين عدد من الظواهر الكونية المختلفة، وهي كذلك جزء من الحكمة التي هي ضالة المؤمن، كما أخبر الصادق المصدوق -عليه أفضل الصلاة والسلام-. والحقيقة العلمية لا تبطل مع الزمن ابدا، ولكنها قد تتسع وتنمو بنماء جهود العلماء المتتابعة، ذلك لمحدودية القدرات الإنسانية التي تضع أعدادا من القوانين العلمية التي تعبر عن أعداد من الحقائق الكونية المحدود ومن هنا كانت الطبيعة التراكمية للمعرفة المكتسبة التي تتسع جيلا بعد جيل، وهذا لا ينتقض من صدق الملاحظات العلمية التي ترتقي المرتبة الحقيقة او القاعدة أو القانون.

بين عمر بن عبدالعزيز والحجّاج في خلافة الوليد

ذكر ابن الجوزي أن عمر بن عبدالعزيز قد استعفى من المدينة كما مرّ ذكره ولكن ذكر غيره أنه عزل عنها، ففي سنة 92هـ عقد الخليفة الوليد لواء الحج للحجاج بن يوسف الثقفي ليكون أميرا على الحج ولما علم عمر بن عبدالعزيز بذلك، كتب رحمه الله تعالى الى الخليفة يستعفيه أن يمرّ عليه الحجاج بالمدينة المنورة، لأن عمر بن عبدالعزيز كان يكره الحجّاج ولا يطيق أن يراه، لما هو عليه من الظلم، فامتثل الوليد لرغبة عمر، وكتب الى الحجّاج: ان عمر بن عبدالعزيز كتب اليّ يستعفيني من ممرك عليه، فلا عليك ألا تمر بمن كرهك فنحّ عن المدينة. وقد كتب عمر بن عبدالعزيز وهو وال على المدينة الى الوليد بن عبدالملك يخبره عما وصل اليه حال العراق من الظلم والضيم والضيق بسبب ظلم الحجّاج وغشمه، مما جعل الحجّاج يحاول الانتقام من عمر لاسيما وقد أصبح الحجّاج ملاذا للفارين من عسف الحجاج وظلمه حيث كتب الحجّاج الى الوليد: ان من قبلي من مراق أهل العراق وأهل النفاق قد جلوا عن العراق، ولجأوا الى المدينة ومكة، وان ذلك وهن: فكتب اليه بشير عليه بعثمان بن حيان، وخالد بن عبدالله القسري، وعزل عمر عبدالعزيز. وقد كان ميول الوليد لسياسة الحجّاج واضحا وكان يظن بان سياسة الشدة والعسف هي السبيل الوحيد لتوطيد أركان الدولة، وهذا ما حال بينه وبين الأخذ بآراء عمر بن عبدالعزيز ونصائحه، وقد أثبتت الأحداث فيما بعد أن ما كان يراه عمر أفضل مما كان يسير عليه الوليد، وذلك بعد تولي عمر الخلافة وتطبيقه لما كان يشير به.

عودة عمر إلى دمشق

خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة المنورة وهو يبكي ومعه خادمه مزاحم، فالتفت الى مزاحم وقال: يا مزاحم، نخشى أن نكون من نفت المدينة، يشير بذلك الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا وان المدينة كالكير يخرج الخبث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها، كما ينفي الكير خبث الحديد. وقال مزاحم: ولما خرج عمر بن عبدالعزيز من المدينة نظرت فاذا القمر في الديران - كأنه تشاءم من ذلك -فقال: فكرهت أن أقول ذلك له فقلت: ألا تنظر الى القمر ما أحسن استواءه في هذه الليلة! فنظر عمر فاذا هو بالديران فقال: كأنك أردت أن تعلمني أن القمر بالديران، يا مزاحم: ان لا نخرج بشمس ولا بقمر ولكن نخرج بالله الواحد القهار، وسار عمر حتى وصل السويداء، وكان له فيها بيت ومزرعة، فنزل فيها فاقام مدة يرقب الأوضاع عن بعد، ثم رأى أن مصلحة المسلمين تقتضي أن تكون اقامته في دمشق، بجوار الخليفة، لعله بذلك يستطيع أن يمنع ظلما، أو يشارك في احقاق حق، فانتقل الى دمشق فاقام بها، ولم يكن عمر بن عبدالعزيز على وفاق تام مع الخليفة الوليد بن عبدالملك، ولذلك فان اقامته في دمشق بجوار الوليد لم تخل من مشاكل، فالوليد يعتمد في تثبيت حكمه على ولاة أقوياء قساة يهمهم اخضاع الناس بالقوة، وان رافق ذلك كثير من الظلم، بينما يرى عمر ان اقامة العدل بين الناس كفيل باستقرار الملك وائتمارهم بأمر السلطان، فكان رحمه الله يقول: الوليد بالشام والحجّاج بالعراق، ومحمد بن يوسف -أخ الحجّاج -في اليمن، وعثمان بن حيان بالحجاز، وقرة بن شريك في مصر.. امتلأت والله الأرض جورا.

ما تعرض له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى والتعذيب

العصبية القبلية كان لها دور في توجيه الأحداث والتعامل مع الأفراد حتى مع اختلاف العقيدة

العزائم التي تقهر الصعاب والإيمان بأن كل مصاب في سبيل الله هين أهم صفات الرعيل الأول عند استقبال المحن

تحمل الصحابة رضوان الله عليهم من البلاء العظيم ما تنوء به الرواسي الشامخات وبذلوا أموالهم ودماءهم في سبيل الله، وبلغ بهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ، ولم يسلم أشراف المسلمين من هذا الابتلاء، فلقد أوذي أبوبكر رضي الله عنه، وحُثي على رأسه التراب، وضرب في المسجد الحرام بالنعال، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وحُمل إلى بيته في ثوبه، وهو ما بين الحياة والموت، فقد روت عائشة رضي الله تعالى عنها، أنه لما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبوبكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور، فقال: «يا أبابكر إنا قليل» فلم يزل أبوبكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبوبكر في الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوهم في نواحي المسجد ضربا شديدا، ووُطئ أبو بكر وضرب ضربا شديدا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويُحرّفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر رضي الله عنه، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاءت بنو تيم يتعادون، فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبابكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبوبكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبوقحافة (والده) وبنو تيم يكلمون أبابكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فسبوا منه بالسنتهم وعذلوه، وقالوا: لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل، فقالت: إن أبابكر يسألك عن محمد بن عبد الله، فقالت: ما أعرف أبابكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن آذهب معك إلى ابنك، قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبابكر صريعا دنفا، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح، وقالت: والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، إنني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح، قال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم، قال: فإن لله علي ألا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِّجْل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله، وأكب عليه المسلمون، ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة، فقال أبوبكر: بأبي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار، قال: فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت.

دروس وعبر وفوائد:

أ- حرص أبي بكر رضي الله عنه على إعلان الإسلام، وإظهاره أمام الكفار وهذا يدل على قوة إيمانه وشجاعته، وقد تحمل الأذى العظيم حتى إن قومه كانوا لا يشكون في موته.

ب- مدى الحب الذي كان يكنه أبوبكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث إنه - وهو في تلك الحال الحرجة - يسأل عنه ويلح إلحاحا عجيبا في السؤال، ثم يحلف ألا يأكل ولا يشرب حتى يراه، كيف بتم ذلك وهو لا يستطيع النهوض بل المشي؟ ولكنه الحب في الله، والعزائم التي تقهر الصعاب، وكل مصاب في سبيل الله ومن أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم هين ويسير.

ج- إن العصبية القبلية كان لها في ذلك الحين دور في توجيه الأحداث والتعامل مع الأفراد حتى مع اختلاف العقيدة، فهذه قبيلة أبي بكر تهدد بقتل عتبة إن مات أبو بكر.

د- الحس الأمني لأم جميل -رضي الله عنها- فقد برز في عدة تصرفات لعل من أهمها:

إخفاء الشخصية والمعلومة عن طريق الإنكار:

عندما سألت أم الخير أم جميل، عن مكان الرسول صلى الله عليه وسلم أنكرت أنها تعرف أبابكر ومحمد بن عبدالله، فهذا تصرف حذر سليم، إذ لم تكن أم الخير ساعتئذ مسلمة، وأم جميل كانت تخفي إسلامها، ولا تود أن تعلم به أم الخير، وفي ذات الوقت أخفت عنها مكان الرسول صلى الله عليه وسلم مخافة أن تكون عينا لقريش.

استغلال الموقف لإيصال المعلومة:

قام جميل أرادت أن تقوم بإيصال المعلومة بنفسها لأبي بكر رضي الله عنه، وفي ذات الوقت لم تظهر ذلك لأم الخير إمعانا في السرية والكتمان، فاستغلت الموقف لصالحها قائلة: «إن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك فعلت»، وقد عرضت عليها هذا الطلب بطريقة تنم عن الذكاء، وحسن التصرف، فقولها: «إن كنت تحبين» وهي أمه وقولها: «إلى ابنك» ولم تقل لها: إلى أبي بكر، كل ذلك يحرك في أم الخير عاطفة الأمومة، فغالبا ما ترضخ لهذا الطلب، وهذا ما تم بالفعل، حيث أجابتها بقولها: «نعم» وبالتالي نجحت أم جميل في إيصال المعلومة بنفسها.

استغلال الموقف في كسب عطف أم أبي بكر:

يبدو أن أم جميل حاولت أن تكسب عطف أم الخير، فاستغلت وضع أبي بكر رضي الله عنه الذي يظهر فيه ضعيفا دنفا، فأعلنت بالصياح، وسبّت من قام بهذا الفعل بقولها: «إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر» فلا شك في أن هذا الموقف من أم جميل يشفي بعض غليل أم الخير، من الذين فعلوا ذلك بابنها، فقد تكن شيئا من الحب لأم جميل، وبهذا تكون أم جميل كسبت عطف أم الخير وثقتها، الأمر الذي يسهل مهمة أم جميل في إيصال المعلومة إلى أبي بكر رضي الله عنه.

الاحتياط والتأني قبل النطق بالمعلومة:

لقد كانت أم جميل في غاية الحيطة والحذر من أن تتسرب هذه المعلومة الخطيرة عن مكان قائد الدعوة، فهي لم تطمئن بعد إلى أم الخير، لأنها مازالت مشركة آنذاك، وبالتالي لم تأمن جانبها، لذا ترددت عندما سألها أبوبكر رضي الله عنه، عن حال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له: «هذه أمك تسمع؟» فقال لها: لا شيء عليك منها، فأخبرته ساعتها بأن الرسول صلى الله عليه وسلم سالم صالح، وزيادة في الحيطة والحذر والتكتم لم تخبره بمكانه، إلا بعد أن سألها عنه قائلا: أين هو؟ فأجابته في دار الأرقم.